

آثر الحديث في نشأة التاريخ عند المسلمين

بشار عواد معروف

لا مرء في ان الباحث حينما يريد تتبع اثر علم الحديث في علم التاريخ عند المسلمين ، لابد له ان يتتبع بدقة وامعان تطور هذين العلمين ، وبينما العلاقة التي لازمت كلا منهما ، واثرها - سلبا او ايجابا - في تطور العلم الاخر . وهذا الامر يحتم على الدارس ان يلقي نظرة عجيلى على منشأ علم التاريخ عند المسلمين ، وعلاقته من هذا الوجه بالحديث النبوي ، ومن ثم تبين تطور الفكرة التاريخية عند المؤرخين الاوائل ، ودراسة اساليبهم في الكتابة التاريخية ، وفحوى كتبهم في هذا العلم ، والعوامل التي دفعتهم الى الكتابة بالشكل الذي وضعوا فيه مدوناتهم .

ولا يشك الباحث لحظة في ان معرفة الغاية من كتابة التاريخ عند المسلمين ، ودراسة الاتجاهات المختلفة في الكتابات التاريخية في مختلف العصور ، ستأخذ بايدينا نحو الفهم الصحيح لمعنى التاريخ عند المسلمين ومن ثم اثر علم الحديث فيه .

ولسنا هنا بحال يسمح لنا بدراسة الجذور التاريخية لعلم التاريخ عند المسلمين ، ولا سيما ما يتعلق بالعصر الجاهلي ، ويمكننا في مثل هذا المجال ان نحيل القارئ الى بعض البحوث الحديثة في هذا الباب (١) . على ان الامر الذي يبدو اكثر اهمية هو تبين العوامل التي دفعت المسلمين الى الاهتمام بالتاريخ من جهة ، وتتبع الاساليب التاريخية التي سادت عصر صدر الاسلام ، وتطورها فيما بعد من جهة أخرى . ونحن حينما نستطيع تتبع هذه الدوافع ، ونبين ما انقرض منها ، وما استمر ، سنستطيع ان نعطي احكاما اكثر دقة ، وربما اقرب الى الواقع .

عوامل اهتمام المسلمين بالتاريخ :

١ - ان فكرة توأحي الانبياء وان محمداً (ص) خاتم النبيين ، وهي الفكرة التي جاء بها الاسلام ، دفعت الكثير من العلماء المسلمين الى الاهتمام بدراسة هذا التسلسل التاريخي ، ومن ثم دفعهم هذا الامر الى دراسة التاريخ منذ الخليفة (المبتدأ) ، واعتمدوا في ذلك كثيرا على كتب الديانات السماوية . وبرز في هذا الميدان عالم عظيم لعب دورا مهما هو وهب بن منبه المتوفى سنة ١١٠ هـ (٢) ، كما برزت أسماء آخرين مثل كعب الاحبار ،

ومحمد بن كعب القرظي (*) وغيرها .

على أن الذي يلاحظ في هذه الكتابات أنها كانت مقتصرة على عصر ما قبل الإسلام من جهة ، ثم أنها لم تعد تظهر إلا في مقدمة كتب الحوليات كتاريخ الرسل والملوك لمحمد بن جرير الطبري ، والمنتظم في تاريخ الملوك والأمم لابن الجوزي ، والكامل في التاريخ لابن الأثير والبداية والنهاية لابن كثير وغيرها ، يتناولها كتاب الحوليات هؤلاء الواحد عن الآخر ، ولذا فإن أهميتها قلت ولم تعد ذات أثر بالغ في تطور الكتابة التاريخية عند المسلمين .

٢- وجاء القرآن بكثير من القصص وأخبار الأنبياء ، توسع في بعضها ، وأشار إشارات عابرة إلى البعض الآخر ؛ فكان لا بد أن يتجه المسلمون نحو تقديم معلومات أوسع عن هذا القصص ، ويكونوا من الإشارات التي جاء بها القرآن عن الأنبياء سيرا طويلة (٣) ، اعتبرت حيناً جزء من تفسير القرآن ، وعادة للسمر حيناً آخر . على أن هذه المادة التي يصعب أن نطلق عليها «مادة تاريخية» ظلت تنتقل في كتب التفسير ، وقلما انتقلت إلى كتب التاريخ اللهم إلا كتب الحوليات ، وبعض الكتب الأخرى ، باعتبارها مادة مكمله للقسم الخاص بما قبل الإسلام . وكان المسلمون يضطرون إلى قبول بعض الروايات ، في موضوعات خاصة ليس في ذكرها وتدوينها ضرر كبير ، حينما لا يجدون إلا هذه المادة التاريخية . ومن هنا ارتضوا لأنفسهم أن يأخذوا عن بعض الأشخاص التفسير في الوقت الذي لم يأخذوا عنهم الحديث ؛ فتكلم يحيى القطان مثلاً عن جوير بن سعيد البلخي ، ومحمد بن السائب الكلبي ، والضحاك بن مزاحم وهم تلامذة سعيد بن جبير المتوفى سنة ٩٥ هـ (٤) وقال : « هؤلاء لا يحمل حديثهم ، ويكتب التفسير عنهم (٥) » . ولا مراء في أن هذا النقد لم يكن متانياً عن « اختصاص » هؤلاء الأشخاص في التفسير ، وعدم معرفتهم برواية الحديث ، لكن للحديث أهميته في التشريع ، وليس في تفسير بعض ما ورد في القرآن من إشارات عن « أساطير الأولين » ، أو الخليفة ما يدخل في الحياة الإسلامية بصورة حادة . وقد عبر عن ذلك المؤرخ المحدث المفسر عماد الدين ابن كثير الدمشقي المتوفى سنة ٧٧٤ في مقدمة كتابه « البداية والنهاية » فقال : « ... ولسنا نذكر من الأسرائيليات إلا ما أذن الشارع في نقله مما لا يخالف كتاب الله ، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم . وهو القسم الذي لا يصدق ولا يكذب ، مما فيه بسط لمختصر عندنا ، أو تسمية لمبهم ورد به شرعنا مما لا فائدة في تعيينه لنا ، فنذكره على سبيل التحلي به لا على سبيل الاحتياج إليه والاعتماد عليه . وإنما الاعتماد والاستناد على كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ما صح نقله أو حسن ، وما كان فيه ضعف نبينه » (٦) . ومع أن ابن كثير قد تكلم على الخليفة والمستقبل وضمن كثيراً من هذه الأخبار كتابه كخلق العرش والكرسي والسموات ، والأرضين وما فيهن وما بينهن من الملائكة والجان والشیاطين ، وكيفية خلق آدم عليه السلام ، وقصص النبيين ، وما جرى

مجرى ذلك الى أيام بني اسرائيل وأيام الجاهلية وغير ذلك (٧) ، لكنه اشتكى من كثرة ما أورد الذين كتبوا من قبله عن هذا الموضوع فقال : « وقد قص الله على نبيه صلى الله عليه وسلم خبر ما مضى من خلق المخلوقات ، وذكر الامم الماضية ، وكيف فعل بأوليائه ، وماذا حل بأعدائه . وبين ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم لامته بيانا شافيا ، سنورد عند كل فصل ما وصل إلينا عنه ، صلوات الله وسلامه عليه . . . وقد يستوعب نقله طائفة من علمائنا ، ولسنا نحذر حذرهم ، ولا ننحو نحوهم ، ولا نذكر منها الا القليل على سبيل الاختصار . وتبين ما فيه حق مما وافق ما عندنا ، وما خالفه فوقع فيه الافكار . » (٨)

ومن هنا يلاحظ ايضا ان هذه المادة نفسها كانت تتكون من الاحاديث النبوية ، ولا يهمنا في هذا المضمار سواء كانت هذه الاحاديث من الاحاديث الصحيحة أو الموضوعية ، وغالبها كذلك بالطبع ؛ اذ ان المهم هو انها كانت الاساس الذي قام عليه التفسير في مثل هذا المجال ، كما كانت الاساس الذي قامت عليه كتب « المبسوط » والتي دخلت كقسم اول في كتب الحوليات .

٣ - وقد لقيت احاديث الرسول (ص) اهتماما بالغاً عند العلماء المسلمين نظرا لدخولها في التشريع ؛ فاهتموا بها ، وتدارسوها ، ورتبوها بأشكال مختلفة حسب الحاجات ، وتفكير الأشخاص . ووضعوا لها علوما اعتبرت بحق أعظم ما انتج الفكر الاسلامي ، وهي التي جانب كونها ذات الاثر البين في تطور الكتابة التاريخية عند المسلمين ، تكون بعد ذاتها مادة تاريخية واسعة عن القرن الاول الهجري خاصة . وسنتطرق فيما يأتي من مباحث عن هذا الامر بتفصيل اذ ان مدار بحثنا يرتكز عليه بالدرجة الاولى .

٤ - ولما توفي الرسول (ص) وجاء الخلفاء الراشدون الى الحكم اهتم المسلمون بأعمالهم ، وتنظيماتهم ، يدفعهم الى ذلك المركز العظيم الذي تمتع به هؤلاء الخلفاء الاجلاء ، واعتبارهم المثل الاعلى للخلق القويم والسيرة الصالحة ، ومن ثم اعتبر الكثير من الفقهاء - فيما بعد - ان اعمال الخلفاء الراشدين تأتي بعد اعمال النبي ، كما اهتموا بأقوالهم واحاديثهم ، بله أقوال واحاديث الصعابة أجمعين ، نظرا لاعتماد الكثير من المسلمين عليها في التشريع ، ولا يشك المرء لحظة في ذلك عند دراسته لكتب اصول الفقه (٩) والكتب التاريخية التي تعنى بالامور الفقهية والاخلاقية والاقتصادية .

٥ - وكانت الفتوح الاسلامية مادة طيبة لتدوين التاريخ ؛ فهي ذات أهمية في تقرير احوال الشعوب المفتوحة تبعا لنوع الفتح ، كما انها تقرر نوع المعاهدات والاتفاقات التي عقدت بين العرب الفاتحين وسكان البلاد المفتوحة ، وأخيرا فانها تكون جزءا من المادة « الفقهية » التي يترتب عليها الكثير من أمور التشريع ؛ فمن ذلك آداب الحرب ، وما يعامل به غير المحاربين من النساء والاطفال والعجزة والرهبان ، وتوسعت بذلك البحوث التي

تتناول العلاقات بين الدولة الإسلامية وغيرها من الدول . كذلك تنظيم أمور الخراج والجزية والعشور وما إلى ذلك من الأمور . ولذلك لاحظنا تأليف كتب كثيرة في هذا الموضوع لعل أشهرها كتب علي بن محمد المدائني « ت ٢٢٥ هـ » وكتاب يحيى بن جابر البلاذري « ت ٢٧٩ هـ » « فتوح البلدان » الذي رتبته على الأقاليم ، تناول في كل منها : فتحه ، ونوع الفتح ، وما عمل الفاتحون به .

٦ - وقامت تنظيمات الدولة الإسلامية في القرن الأول الهجري على أساس التنظيمات القبلية ، (١٠) بغض النظر عن التعديلات أو التبديلات التي أدخلت زمن الخلفاء الراشدين ، وخاصة أيام الخليفة الثاني عمر بن الخطاب ، على هذه القبائل من حيث تقسيماتها وأعدادها ؛ فكان العطاء (الرواتب) يوزع على أساس القبائل حيث يعطى عطاء القبيلة إلى رئيسها ويوزع بعد ذلك على أفرادها ، ولذلك قسمت المجتمعات الإسلامية في القرن الأول الهجري على أساس القبائل أيضا . وكان العطاء وتنظيماته تعتمد على أمور مختلفة ، على أن أهمها السابق في الإسلام ، وهو أمر يرتبط أيضا بالقبائل بشكل واسع ، إذ غالبا ما كان اسلام القبائل علما ، أي أن معظم القبيلة ، أو العشيرة ، تسلم مرة واحدة وذلك عندما يدخل شيخها في الإسلام . كما أخذت القرابة من الرسول (ص) بنظر الاعتبار ، وكذلك الخدمات التي قدمتها القبائل أو العشائر أو الأفراد للإسلام . ومن هنا كان أن ظهرت الكتب التي تهتم بهذه الأمور ، وغالبا ما ظهرت على شكل كتب « انساب » . ولعل خير ما يصور هذا الأمر هو كتاب « النسب الكبير » لابن الكلبي ، الذي اعتمد عليه الكتاب الذين وضعوا كتباً في هذا المضمار مثل محمد بن حبيب السكري ، وابن حزم ، والسمعاني وغيرهم .

٧ - ولما كان تنظيم الدولة قد قام على أساس قبلي ، ونظمت المجتمعات الإسلامية على أساسها ، لذلك انبرى كتاب القبائل إلى تأليف الكتب والرسائل التي تظهر أمجاد قبائلهم ومفاسخها ، ومكانتها في الجاهلية ، وفي الإسلام بصورة خاصة ، ويبدو ذلك واضحا في الكتب التي ألفها مصعب الزبيري ، والزبير بن بكار ، وأبو عبيدة ، وغيرهم (١١) .

٨ - وكان الصراع السياسي ، في القرن الأول الهجري خاصة ، مادة غنية استمد منها بعض الكتاب مادة لكتبهم ، كالصراع بين العلويين والامويين مثل كتاب « صفين » لنصر بن مزاحم المنقري ، وكتاب « مقتل حجر بن عدي » لأبي مخنف (١٢) ، أو موضوعات أثارت فضول الناس ، كأعمال الحجاج بن يوسف الثقفي الذي ألف المدائني كتاباً في أخباره ووفاته (١٣) ، أو عبدالله بن الزبير الذي ألف أبو مخنف كتاباً في مقتله (١٤) ، لما عرف عن قصته من التضحية والشجاعة والوفاء ، وما فعله الامويون عند حصاره . الخ . وكانت هذه الكتب وأمثالها مادة طيبة للسمر في ليالي الصيف العليل ، وليالي الشتاء الباردة الطويلة ، يتداول الناس فيها

الطرائف والاخبار ، وهي أنس للانيس والمجالس .

٩ - وكان للصراع الذي نشأ بين الاسلام وغيره من الديانات ، ولا سيما المجوسية ، والامور التي ترتبت عليه من ظهور الشعوبية ، وعبداء التسوية ، قد دفع الكثيرين ممن يعطفون على دياناتهم - المستورة - أو ديانات آبائهم واجدادهم ، الى وضع الكتب التي تبين مجدهم وفضائلهم ، وتقلل من شأن العرب - وهم مادة الاسلام - فظهرت لنا عند ذلك الكتب الكثيرة في أخبار الفرس ، وملوكهم ، ووزرائهم ، وعقلائهم ، ومثالب العرب . وانتج رد الفعل المعاكس كتباً تناولت مفاخر العرب ، وفضائلهم ، وفضلهم على العجم ، كما تناولت أيامهم ومآثرهم (١٥) .

١٠ - وفي القرن الثاني الهجري بدأت الدولة الاسلامية بالتعقد ، وازداد نفوذ السلطة الحكومية ، وأصبحت تنظيمات الدولة على درجة كبيرة من الاتساع والتعقيد ، الامر الذي دفع ، من لهم صلة بهذه الناحية واهتمام بهذا الامر ، من الكتاب والمؤلفين ، الى وضع الكتب التي تبحث في الادارة بغية تسهيل مهمة الموظف الحكومي ؛ فوضعت الكتب في الادارة عموماً مثل كتاب الخراج لابي يوسف القاضي ، وكتاب « الخسراج وصناعة الكتابة » لقدامة بن جعفر الكاتب البغدادي ، الذي تناول في كتابه دواوين الدولة العباسية وبحثها بحثاً مسهباً وبين العلاقة بين هذه الدواوين ، ودوائر الدواوين نفسها ، وكيفية العمل فيها ، وأورد نماذج من التوقيعات في تعيين موظفيها ، كما تطرق الى موضوعات كثيرة أخرى (١٦) . أو انها تناولت موضوعاً خاصاً كالوزارة مثل كتاب « الوزراء » للثعالبي ، « الوزراء والكتاب » للجهمياري ، والقضاء مثل كتاب « أدب القاضي » لابي عبيد القاسم بن سلام المتوفى سنة ٢٢٤ هـ ، وكتاب « أدب القضاة » للخصاف (١٧) ، أو كتاب « روضة القضاة وطريق النجاة » لابي القاسم علي بن محمد بن أحمد السمناني الحنفي المتوفى سنة ٤٩٩ هـ (١٨) الذي احتوى على معلومات مفصلة عن صفات القاضي ، وشروطه ، وأحكامه ، وكتابته ، وبوابه . كما تكلم فيه عن « صاحب الحبس » وأورد معلومات فريدة في بابها عن « ديوان الحكم » سماه « قبض ديوان الحكم وتسليمه وكيف العمل في ذلك » (١٩) ، أو في الحسبة وفيها كتب كثيرة .

ان هذه الكتب لا تدخل كلية في الكتب « التاريخية » اذ انها كتب « ادارية » ، اذ صبح التعبير ، أكثر منها تاريخية ، على الرغم من احتوائها على حوادث تاريخية . ثم انها الى جانب ذلك قليلة نسبياً اذا ما قيسست بالكتب الهائلة التي وضعت في التاريخ الاسلامي بشتى الصور التي كتب بها . كما ان التأليف في مثل هذه الكتب أصبح قليلاً أو كاد ينعدم بعد القرن الخامس الهجري ، اذا استثنينا بعض الموسوعات التي اعتمدت في جل مادتها على الكتب الاولى مثل كتاب « صبح الاعشى في صناعة الانشا » للقلقشندي .

١١ - ووضعت بعض الكتب كتاريخ سياسي ، يوضح تجارب الأمة ، ويدون الأحداث والوقائع الخطيرة دون أن يحوي تراجم أو يهتم بها ، إلا في القليل النادر . وكانت الغاية من تأليف أمثال هذه الكتب ، تسجيل الأحداث التي تمر بها الأمة الإسلامية وفائدتها البالغة لأولي الأمر قال ابن الأثير : فإذا طالعها فكأنه عاصرهم ، وإذا علمها فكأنه حاضرهم ؛ ومنها أن الملوك ومن اليهم الأمر والنهي إذا وقفوا على ما فيها من سيرة أهل الجور والعدوان ورأوها مدونة في الكتب يتناقلها الناس فيرونها خلف من سلف ونظروا إلى ما أعقبت من سوء الذكر وقبيح الأحداث وخراب البلاد ، وهلاك العباد ، وذهاب الأموال ، وفساد الأحوال ، استقبحوها وأعرضوا عنها وأطرحوها ، وإذا رأوا سيرة الولاة العادلين وحسنها وما يتبعهم من الذكر الجميل بعد ذهابهم وإن بلادهم وممالكهم عمرت وأموالها درت ، استحسنتوا ذلك ورغبوا فيه وثابروا عليه وتركوا ما ينافيه ، هذا سوى ما يحصل لهم من معرفة الآراء الصائبة التي دفعوا بها مضرات الأعداء وخلصوا بها من المهالك واستصانوا نفائس المدن وعظيم الممالك . . . ومنها ما يحصل للإنسان من التجارب والمعرفة بالحوادث وما تصير إليه عواقبها فإنه لا يحدث أمر إلا قد تقدم هو أو نظيره فيزداد بذلك عقلا ويصبح لأن يقتدى به أهلا . . . (٢٠) ، وأكد الكتاب المسلمون على « العبرة » و « الاتعاظ » في مثل هذه الكتب ولعل العنوان الذي وضعه الذهبي لكتابه « العبر في خبر من عبر » يصور هذا الأمر أحسن تصوير . وكانت الغاية من هذه الكتب السمر أيضا ؛ فهي مادة طيبة مؤنسة في المجالس ، قال ابن الأثير عند ذكره لفوائد التاريخ : . . . ومنها ما يتجمل به الإنسان في المجالس والمحافل من ذكر شيء من معارفها ، ونقل طريفة من طرائفها ، فترى الاسماع مصغية إليه ، والوجوه مقبلة عليه ، والقلوب متأملة ما يورده ويصدره ، مستحسنة ما يذكره (٢١) . . . ومما يصور لنا التجربة في مثل هذه الكتب تصويرا دقيقا العنوان الذي وضعه مسكويه لكتابه إذ أطلق عليه « تجارب الأمم وتعاقب الهمم » .

على أن هذه الكتب وإن استمرت لفترة معينة لكنها أخذت بالاضمحلال والضمور والتقلص ، وحينما سيطرت الفكرة الدينية في كتابة التاريخ مرة أخرى ، نرى هذه الكتب وأمثالها تعود فيصبح فيها الاهتمام بالتاريخ السياسي أقل كثيرا من الاهتمام بالتراجم ، وهو أمر يدل على أثر علم الحديث في مثل هذا النوع من الكتب (*) .

هذه هي الخطوط العامة التي دفعت العلماء المسلمين إلى الاهتمام بالتاريخ ، إلى جانب العامل الأكبر ، وهو الحديث النبوي . وسنوضح فيما يأتي أن الحديث وعلومه اخترع فنونا جديدة في صور الكتابة التاريخية ، وترك أثرا عظيما في الصور الأخرى .

بقي علينا الآن أن نوضح اتجاهات الكتابة التاريخية التي لازمت

تطور علم التاريخ عند المسلمين ، ونحاول ان نوضح الصلة بين هذه الاتجاهات التي تناولناها وبين دراسة الحديث وعلومه .

كانت المراكز العلمية الرئيسية في صدر الاسلام هي المدينة ، والعراق - البصرة والكوفة - ، وفي هذه المراكز قامت الحركة الفكرية وانتعشت وأصبحت أساسا للدراسات التي ظهرت فيما بعد في الانحاء الاخرى من العالم الاسلامي . وكان طابع الحركات الفكرية في هذه المراكز قد تأثر الى حد كبير بالحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية . ففي البصرة والكوفة مثلا كانت التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية وحتى السياسية تقوم على أساس التنظيم القبلي ؛ فقسمت البصرة الى أخماس لكل قبيلة من القبائل النازلة فيها مكان خاص بها يسمى « ربع » . كما قسمت الكوفة الى أربعة أقسام حسب القبائل النازلة بها أيضا . وكانت الاحوال الاجتماعية مرتبطة ارتباطا كليا بالتنظيم القبلي هذا ، كالدية والعاقلة وما الى ذلك . ومن هنا بقي سكان هذه المناطق طوال القرن الاول الهجري على طبيعتهم القبلية ، ومن ثم فان دراسة التاريخ اتخذت هي الاخرى اتجاها قبليا ، فكانت استمرارا لاسلوب « الايام وعند العرب » وبالطبع كانت الموضوعات التي تناولها هؤلاء العلماء ذات اتجاه مرتبط بالقبائل بالدرجة الاولى ؛ ولذلك اهتموا باخبار القبائل ، وایامها ، وانسابها ، وشعرائها وكل ما يتعلق بها ويدور حولها . واتسمت الكتابات في هذين المصربين - البصرة والكوفة - بنوع من الاختصاص فظهر كتاب اختصاصوا بالاخبار ، أو الانساب ، أو الشعر ، أو اللغة وهلم جري .

وغالبا ما كانت الاخبار في القرن الاول الهجري تروى شفاهيا يتناقلها الرواة بعضهم من بعض ، دون تدوين لها في الاغلب الاعظم . كما ان « الاختصاص » الذي ذكرناه في الاخبار أو الانساب أو الشعر أو اللغة كان يتداخل في بعض الاحيان ؛ فنجد الرواة يتناولون موضوعات هي ، في الحقيقة ، مكملة لمواضيعهم متممة لها ، فلا بد لرواية الاخبار مثلا ان يتعاطى الشعر أو يرويها ، أو يستعمل اللغة لتوضيح بعض الغريب في الخبر أو الشعر الذي يرويها . ومن مؤرخي هذه المدرسة خاصة عوانة بن الحكم المتوفى سنة ١٤٣ هـ (٢٢٢) ، وأبو مخنف لوط بن يحيى « ت ١٥٧ » (٢٣١) وسيف بن عمر « ت ١٨٠ هـ » (٢٤٠) ونصر بن مزاحم المنقري « ٢١٢ هـ » (٢٥٠) وعلي بن الحسن المدائني « ت ٢٥٢ هـ » (٢٦٠) وغيرهم .

كانت هذه المدرسة بعيدة نسبيا عن تأثيرات علم الحديث في البداية ، لكنه أثر عليها أثرا واضحا في اضطرارها الى أخذ الاسناد . ومن ثم يضاف الى ذلك انها أخذت تضمحل وتضمحل أمام مدرسة المدينة التي قامت على الحديث ودراساته ، وأخذت الاخيرة تضم تحت جناحها معظم الصور التي كتب بها التاريخ الاسلامي . هذا من جهة ، ومن جهة أخرى يلاحظ ان علم الحديث بدأ الى جانب اثره في الاسناد يؤثر على طريقة عرض الرواية عند

هذه المدرسة ، بله وأصبح كثير من هذه الاخبار يدخل ضمن الكتب التي وضعت لتكون من كتب « اللغة » و « الادب » أكثر من دخولها في كتب « التاريخ » . ويبدو هذا الامر أكثر وضوحاً وانجلاء في كتب الاسمار ، والمجاميع ، مثل « عيون الاخبار » لابن قتيبة الدينوري وبعض كتب الجاحظ وكتاب « الأغاني » لأبي الفرج الأصفهاني ، والعقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي وغيرها . والحق أن هذا النوع من الكتب نفسه تطور فيما بعد ، وأصبح يحتوي على « تراجم » بشكل أكثر مما كان عليه ، وهو بعد ذاته مظهر آخر من مظاهر تأثير علم الحديث في علم التاريخ عند المسلمين .

المغازي :

ونشأ الاتجاه الآخر في الكتابة التاريخية وتطور في المدينة ، وظهر بأول صورته على شكل « مغازي » الرسول (ص) ، والتي لم تكن في الواقع تتناول غزواته فقط ، إنما امتدت لتشمل حياته كلها . ولست أبقي هنا أن أتكلم على المغازي ومؤلفيها ، وطبيعتها ، وأهميتها في دراسة عصر الرسالة (٢٧) ، لكنني سأتناول الموضوع من جانب واحد ، هو علاقة الحديث بكتابة المغازي .

ولعلنا في تتبعنا الأسباب التي دفعت كتاب المغازي إلى الاهتمام بها ، والأساليب التي كتبت بها ، وطبيعة ما تضمنته من أخبار ، يلقي بعض الضوء على هذه العلاقة التي نحن بصدددها ، ويقودنا إلى تبيان الاتصال بصورة أكثر وضوحاً ، وأوضح انجلاء ، ومن ثم أقرب إلى الواقع .

١ - جاء القرآن الكريم وفيه الكثير من الأحكام التي تنظم الحياة الإنسانية ، والآخرى ، لكنه جاء في بعض الأحيان شاملاً وفيه نوع من التعميم ، كما أنه إضافة إلى ذلك لم يتناول كل مظاهر الحياة الصغيرة والكبيرة ، ولذلك اعتبرت أقوال الرسول (ص) وأعماله والأمر التي أقرها ، وهي السنة ، الأساس الثاني في التشريع الإسلامي ، ومن ثم كان الاهتمام بأقوال الرسول (الحديث) وحياته وأعماله وما جرى في زمانه من غزوات وحروب (السيرة) (٢٨) .

٢ - وفي الوقت نفسه ، كانت أقوال الرسول وأعماله هي المثل الأعلى للمدين الإسلامي في جميع نواحيه الروحية والمادية ، فكان لا بد من جمعها وروايتها ، ثم تدوينها ، للاقتداء بها ، والسير على خطاها .

٣ - ولا مرأ في أن الرسول (ص) هو المبعوث بالحق من الله هدى ورحمة للعالمين ، وهو الذي اختاره الله من بين كل هذه البشرية ليكون المبلغ لرسالته السماوية ، والمبين لهداه وصراطه المستقيم . ثم هو أكرم الخلق وأحبهم إلى الله تعالى ، لذلك فإن المسلمين حينما يتحدثون عن الرسول

واقواله وافعاله ، كانوا يشعرون بالفخر والاعتزاز .

٤ - وكان الذي يروي حديث رسول الله (ص) واعماله واقواله ، ويسرد سيرته الزكية ينال احتراما كبيرا ، وتبجيلا كثيرا عند مستمعيه ، وهو في الغالب ذو مكانة مرموقة عند العام والخاص . ومن هنا لاحظنا ان أبناء الصحابة ساهموا مساهمة كبيرة في المغازي حتى كادت تقتصر عليهم ، وقلما دخل فيها أحد غيرهم . والواقع ان اتصال هؤلاء بأبائهم ، واتساع معلومات الآباء جراء اتصالهم بالرسول (ص) ، قد سهل عليهم الكثير من العناية في معرفة حياة الرسول الكريم (ص) . هذا الى جانب ان أبناء الصحابة واحفادهم قد عاشوا في بيئة كانت مملوءة بمثل هذه الاحاديث والاخبار .

٥ - ولا يخفى على القاريء ما كان لمن اشترك مع الرسول (ص) في غزواته ، واعماله ، وفعالياته ، من المنزلة الاجتماعية المرموقة عند المسلمين عامة ؛ ومن هنا كان اظهار اعمال هؤلاء الاشخاص ومساهماتهم في الدعوة الاسلامية ، وتثبيت اركان الاسلام ، وارساء قواعده ، أمورا تجعل من أسلافهم يبحثون وينقبون ، ومن ثم يروون ، عن هذه الآثار الطيبة ، رفعا لمكانتهم الاجتماعية ، وتدعيما لمراكزهم التي يتمتعون بها عند الناس ، وتمييزا لهم عن بقية المسلمين . هذا الى جانب من كان يحاول اظهار مركز عائلته ودورها الكبير الذي لعبته في عصر الرسالة ، لاغراض أخرى ؛ من مركز ، او سلطان .

٦ - ولم يكن الرسول وحده قدوة للناس ، انما اصبح الصحابة رضي الله عنهم ، هم الآخرون بدورهم قدوة يقتدى بهم ، ومثلا يحتذى . ومن هنا لاحظنا دخول الكثير من اعمال الصحابة في اطار المغازي ، او السيرة ، ومن ثم اعتبرت احاديثهم وفتاواهم وأعمالهم في كثير من الاحيان جزء لا يتجزأ من السنة .

٧ - والى جانب التشريع ، كان التنظيم الاداري في العصر الاموي ، ومحاولة تثبيت الانظمة الراسخة للدولة الاسلامية من العوامل الاساسية التي أدت الى الاهتمام بالسنة ككل والحديث بصورة خاصة ؛ فكان الخلفاء مثلا يتوجهون بالاسئلة لمن عرف بعلمه في هذه الامور ليجيب عليها ؛ فقد طلب عبد الملك بن مروان ايضا لبعض الامور من عروة بن الزبير . ت بين ٩٥ - ١٠٥ هـ ، كذلك فعل الوليد بن يزيد بواسطة احد رجال بلاطه ، وهو ابن ابي هنيدي (٢٩) . ولا يغرب عن بالنا اهتمام الخليفة عمر بن عبدالعزيز بالتنظيمات الادارية ومحاولاته في هذا المجال ، ولعل طلبه الذي وجهه الى عامله على المدينة ابن حزم هو خير ما يصور ما ذهبنا اليه . وأمر خالد بن عبد الله القسري عامل العراق محمد بن شهاب الزهري ان يكتب له السيرة (٣٠) . كل هذه الامور ، يضاف اليها المتعة الزائدة بالاستماع الى اخبار الرسول (ص) واقواله ، قد أدت ، ولا شك ، الى الاهتمام العظيم

واقواله وافعاله ، كانوا يشعرون بالفخر والاعتزاز .

٤ - وكان الذي يروي حديث رسول الله (ص) واعماله واقواله ، ويسرد سيرته الزكية ينال احتراما كبيرا ، وتبجيلا كثيرا عند مستمعيه ، وهو في الغالب ذو مكانة مرموقة عند العام والخاص . ومن هنا لاحظنا ان أبناء الصحابة ساهموا مساهمة كبيرة في المغازي حتى كادت تقتصر عليهم ، وقلما دخل فيها أحد غيرهم . والواقع ان اتصال هؤلاء بأبائهم ، واتساع معلومات الآباء جراء اتصالهم بالرسول (ص) ، قد سهل عليهم الكثير من العناية في معرفة حياة الرسول الكريم (ص) . هذا الى جانب ان أبناء الصحابة واحفادهم قد عاشوا في بيئة كانت مملوءة بمثل هذه الاحاديث والاخبار .

٥ - ولا يخفى على القاريء ما كان لمن اشترك مع الرسول (ص) في غزواته ، واعماله ، وفعالياته ، من المنزلة الاجتماعية المرموقة عند المسلمين عامة ؛ ومن هنا كان اظهار اعمال هؤلاء الاشخاص ومساهماتهم في الدعوة الاسلامية ، وتثبيت اركان الاسلام ، وارساء قواعده ، أمورا تجعل من أسلافهم يبحثون وينقبون ، ومن ثم يروون ، عن هذه الآثار الطيبة ، رفعا لمكانتهم الاجتماعية ، وتدعيما لمراكزهم التي يتمتعون بها عند الناس ، وتمييزا لهم عن بقية المسلمين . هذا الى جانب من كان يحاول اظهار مركز عائلته ودورها الكبير الذي لعبته في عصر الرسالة ، لاغراض أخرى ؛ من مركز ، او سلطان .

٦ - ولم يكن الرسول وحده قدوة للناس ، انما اصبح الصحابة رضي الله عنهم ، هم الآخرون بدورهم قدوة يقتدى بهم ، ومثلا يحتذى . ومن هنا لاحظنا دخول الكثير من اعمال الصحابة في اطار المغازي ، او السيرة ، ومن ثم اعتبرت احاديثهم وفتاواهم وأعمالهم في كثير من الاحيان جزء لا يتجزأ من السنة .

٧ - والى جانب التشريع ، كان التنظيم الاداري في العصر الاموي ، ومحاولة تثبيت الانظمة الراسخة للدولة الاسلامية من العوامل الاساسية التي أدت الى الاهتمام بالسنة ككل والحديث بصورة خاصة ؛ فكان الخلفاء مثلا يتوجهون بالاسئلة لمن عرف بعلمه في هذه الامور ليجيب عليها ؛ فقد طلب عبد الملك بن مروان ايضا لبعض الامور من عروة بن الزبير . ت بين ٩٥ - ١٠٥ هـ ، كذلك فعل الوليد بن يزيد بواسطة احد رجال بلاطه ، وهو ابن ابي هنيدي (٢٩) . ولا يغرب عن بالنا اهتمام الخليفة عمر بن عبدالعزيز بالتنظيمات الادارية ومحاولاته في هذا المجال ، ولعل طلبه الذي وجهه الى عامله على المدينة ابن حزم هو خير ما يصور ما ذهبنا اليه . وأمر خالد بن عبد الله القسري عامل العراق محمد بن شهاب الزهري ان يكتب له السيرة (٣٠) . كل هذه الامور ، يضاف اليها المتعة الزائدة بالاستماع الى اخبار الرسول (ص) واقواله ، قد أدت ، ولا شك ، الى الاهتمام العظيم

بأعماله وأقواله وفعالياته وكافة الأمور المتعلقة به وبأصحابه .
وبعد ان بينا المواقف التي أدت الى الاهتمام بحياة الرسول ، وحاولنا
أن نقدم لذلك صورة ، نأمل أن تكون على شيء من الوضوح ، فننتقل الى
أمر آخر لا يقل في أهميته عما تكلمنا عليه قبل قليل ، وهو المادة التي
كونت « المعازي » ، والشكل الذي وضعت فيه واتحدته . وهو أمر سيحتم
عليها القاء نظرة عجيلى على كتاب المعاري وصلهم بالحديث .
فأول ما ظهرت كتابة المعاري في المدينة كانت منصلة اتصالا وثيقا
بدراسة الحديث (٣٢) ، ولم تكن في الواقع الا جزء من هذه الدراسة - أي
دراسة الحديث - ، ويبدو ذلك أكثر جلاء ووضوحا حينما يستعرض
الناحث كتابها والمستغلين بها . وأول محاولة من هذا النوع كانت محاولة
ابان بن عثمان بن عفان (٣٣) ، الذي كان محدثا قبل ان يندى اهتسابا
بالمعاري . ولم نصلنا من كتابات ابن في المعاري الا اشارة اشار اليها
اليعقوبي (٣٤) ، وخبر آخر يتعلق بمعوية بن ابي سفيان (٣٥) . وقد روت
كتب الصحاح كثيرا من الاحاديث عن ابن . وأشار ابن سعد الى معازي ابان
بن عثمان بن عفان في ترجمة المعبره بن عبدالرحمن بن الحارث بن هشام
فقال . قال محمد بن عمر (الوافدي) خرج المغيرة بن عبدالرحمن الى الشام
غير مرة عاريا ، وكان جيش مسلمة بن الحارث يارص الروم حتى اقلعهم
عمر بن عبدالعزيز ، ودهست عيه ، (ثم وحج) الى المدينة فمات بالمدينة . . .
وقد روى عنه ، وكان ثقة قليل الحديث الا معقارى رسول الله صلى الله عليه
وسلم اخدها من ابان بن عثمان ، فكان كثيرا حقا ، عليه ويا مريا بتعليمها (٣٥)
ودكر ابن سعد في ترجمة ابان بن عثمان انه كان ثقة يروى الحديث (٣٦)
ودكره البخاري في تاريخه وذكر انه سمع من والده عثمان بن عفان ، وروى
عنه الرهري (٣٧) وذكره ابن حجر في تهذيب التهذيب وذكر انه
روى عن أبيه ، وزيد بن ثابت ، واسامة بن زيد . وروى
عنه ابنه عبدالرحمن ، وعمر بن عبدالعزیز ، وابو الرناد ، والرهري ،
ونبيه بن وهب وعمرهم . ونقل ابن حجر عن عمرو بن شعيب انه قال :
ما رأيت اعلم بالحديث ولا فقه منه . وعنه يحيى القطان من فقهاء المدينة .
وقال العجلي ثقة من كبار التابعين (٣٨) . وهكذا فقد كان ابان محدثا
وفقيها ، قاده هذه العلوم الى الاشتغال بالمعاري كجزء من عمله هذا في
الحديث والفقه .

أما عروة بن الزبير بن العوام « ت ٩٤ هـ » فيقول حاجي خليفة انه
أول من ألف في المعازي (٣٩) . وقد وصفتنا بعض من معازيه مبثوثة في الكتب
التي نقلت عنه . كان عروة بن الزبير محدثا ، وقد روت له كتب الصحاح
عددا كبيرا من الاحاديث ، فعلمنا نجد بابا من ابواب الحديث في هذه
الكتب ولا تجد لعروة حديثا فيه . ومعظم هذه الاحاديث رويت عن طريق
ابنه هشام (٤٠) والاسناد الذي يتكرر في كتب التاريخ والحديث هو :

هشام عن عروة عن عائشة .

وكان عروة يهتم اهتماما بالغا بالحديث ، وكان يعتز بمعرفته هذه .
 روى ابنه هشام عنه انه قال . يا بني سلوني ولقد تركت حتى كدت أن
 أنسى ، واني لأسأل عن الحديث فيمنح حديث يومي (٤١) . ووصف الزهري
 عروة بأنه « بحر لا ينزف » (٤٢) . وقال ابنه هشام : والله ما تعلمنا منه
 جزء من ألفي جزء من أحاديثه (٤٣) وهو أمر يدل على سعة اهتمامه بالحديث
 الذي كان يطلق عليه « العلم » قال : تعلموا العلم تسودوا به قومكم
 ويحتاجوا اليكم (٤٤) . وكان عروة تقياً ورعاً زاهداً . روى ابنه هشام ان اباہ
 كان يصوم الدهر كله الا يوم العطر ويوم السحر ، وماب وهو صائم (٤٥) ،
 كما انه لم يلعب دوراً في الحياة السياسية وطل معزلاً ويبدو ذلك من
 النص الذي أورده ابن سعد قال : احرقنا اسماعيل بن عبد الله بن ابي
 اويس ، قال حدثني ابي ، عن عبد الله بن حسن انه قال : كان عبي بن
 حسين بن علي بن ابي طالب يحلس كل ليلة هو وعروة بن الزبير في
 مؤخر مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد العشاء الآخرة ، فحلت
 احلس معها ، فحدثنا ليلة وذكر حور من حار من بني امية والمقام معهم ،
 وهم لا يستطعون بغير ذلك ، ثم ذكر ما يحافان من عقوبة الله لهم ،
 فقال عروة لعلي . يا علي ! ان من اعتزل اهل الحور والله يعلم منه
 سخطه لأعمالهم فان كان منهم على ميل ثم اصابتهم عقوبة الله ربح له ان
 يسلم مما اصابهم ، قال . فحرج عروة فسكن العميق (٤٦) .

والواقع ان الذي يجمع النصوص التي وردت عن عروة بن الزبير ،
 ويلقى عليها نظرة فاحصة نجدها في الاعتب الاعم ، احادث مرتبة بشكل
 مترابط يكون وحده موضوعية مناسبة معاصرة ، ومن هنا يتضح لنا ان
 دراسة المعاري ما هي في الواقع الا سوابج جديدة للاحاديث السوية ،
 تطورت فيما بعد ودخلت فيها رواية الاحداث المتعلقة بالرسول والصحابة
 ومن عاصريهم . وحتى هذه الاحيرة و بها طلت بروى وتدون بطريقة أهل
 الحديث ، اي استعمال الاسناد ، وإقامة المقد عليه .

لقد اكتشفت هذه الخاصية في دراسة المعاري بظهور شخصية عظيمة
 ساهمت بشكل واسع في دراستها ، هو محمد بن مسلم الزهري التوفسي
 سنة ١٢٤ هـ ، الذي اعتمد على عروة بن الزبير كثيراً في هذا المجال ، وأحد
 الزهري علمه من أعظم المحدثين في زمانه فمثال سعيد بن المسيب ، وابن
 من عثمان ، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، وعروة بن الزبير وغيرهم .
 وكتب الدكتور البكري بحثاً مسهباً عن الزهري (٤٧) ، أثبت فيه
 اثباتاً لا يقبل الشك ان الزهري « قام بسخت واسع عن روایات المدينة
 وأحاديثها ، وكتب ما كان يسمع لبعض ذاكركه ، وقد محص تلك الروايات
 ووضعها في اطار متين واضح » ودراسة رواياته التي وصلنا بعضها بميل
 الى أنه كان اول من أعطى « السيرة » - وهو التعبير الذي استعمله - هيكلًا

محدودا ورسم خطوطها بوضوح . وتبدأ خطته للسيرة بذكر بعض المعلومات عن قبل الاسلام والتي تصل بحياة النبي محمد (ص) . ثم يتناول النواحي الهامة من الفترة المكية من حياة الرسول ، ثم الهجرة الى المدينة ، ويساؤل المغازي وفتح مكة ، وبعض السفارات التي ارسلها الرسول والوفود التي قدمت عليه ، ويتحدث عن فعاليات أخرى للرسول ثم مرصه وانتقائه من هذه الحياة . وراعى الزهري التسلسل التاريخي في حوادث السيرة وأعطى تواريخ الحوادث المهمة .

وقد أخذ الزهري جل مواده عن سيرة من الحديث ، ولا نجد الا أثرا بسيطا للقصص فيما كتب ، كما اننا نجد صدى ضعيفا في مادته لقصص الانبياء التي اهتم بها كما يبدو . ومع ان الزهري كان يحب الشعر مثل أبناء عصره ، بل كان صليعا في الشعر ، الا ان اسنعمانه له محدود في معاريه ، فهو بعيد عن اسلوب الايام في كتابه . (٤٨) وهذا رد الدكتور الدوري على النظرية القائلة بان اصول المغازي ترجع الى القصص الشعبي (٤٩) وابان خطتها ، وأثبتت في درسته المسببة تلك الى انها ترجع الى الدراسات الاصلية التي قام بها المحدثون وتلامذتهم .

وحينما انقضى جيل الزهري ظهر تلامذه الذين ساروا على النهج الذي وضعه علماء المدينة المحدثون في كتابة المغازي ، ومن هؤلاء موسى بن عقة بن ابي عمار الاسدي المتوفى سنة ١٤١هـ (٥٠) . وقد وجدت قطعة من معاريه في المكتبة الرسمية البروسية ترجمها الى الالمانية الاستاذ دورد سجاو . والذي نلاحظ من دراسة النصوص التي وردتنا عن موسى بن عمة تأكيده على الاسناد ، وهو امر يعكس الى حد ما اهتمام المحدثين بالاسناد ابان هذه الفترة ، كما انه يعبر نفس الوقت بتأثير الحديث على التاريخ . والواقع ان موسى في مغازيه اعتمد كثيرا على الزهري ، ولكنه في الوقت نفسه اضاف معلومات جديدة ومهمة ، كما أنه استعان ببعض المبرسات ، ومن المحتمل أنه استعان بالكتب التي تركها اسناده الزهري ، والتي روي انما كانت كثيرة جدا (٥١) .

ثم نجد بعد ذلك ظهور شخصية فذة في تاريخ المغازي ، هي شخصية محمد بن اسحاق بن يسار مولى عبد الله بن فيس بن محرمة بن المطيب المتوفى سنة ١٥١هـ (٥٢) وهي شخصية اثارت الكثير من المناقشات قديما وحديثا دارت حول صحة المعلومات الواردة في السيرة عموما (٥٣) ، لاسيما وان الشكل الذي وضعه ابن اسحاق لم يصلنا ، وما الذي بين ايدينا هو تهذيب وضعه ابن هشام ، وقطعه من كتاب ابن اسحاق الاصيل .

ولا يعرف بالضبط ما حدثه من هشام عندما هدت السيرة ، على أنه في المقدمة التي كتبها لهذا التهذيب قد بين خطته في الحذف والعرض ، قال : وانا ان شاء الله مبتدئ هذا الكتاب بذكر اسماعيل بن ابراهيم ، ومن ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم من ولده ، وأولادهم لاصلابهم ،

الاول فالاول ، من اسماعيل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما يعرض من حديثهم ، وتارك ذكر غيرهم من ولد اسماعيل ، على هذه الجهة ، للاختصار ، الى حديث سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتارك بعض ما ذكره ابن اسحاق في هذا الكتاب ، مما ليس لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيه ذكر ، ولا نزل فيه من القرآن شيء ، وليس سببا لشيء من هذا الكتاب ، ولا تفسير له ، ولا شاهدا عليه ، لما ذكرت من الاختصار ، واشعاره ذكرها لم ار احدا من اهل العلم بالشعر يعرفها ، وأشياء بعضها يشع الحديث به ، وبعض يسوء بعض الناس ذكره ، وبعض لم يقر لنا البكائي بروايته ، ومنقص ان شاء الله تعالى ما سوى ذلك منه بمبلغ الرواية له ، والعلم به . (٥٤)

وبرى الاستاد يوسف هوروفتس ان ابن اسحاق قد ألف كتابه في ثلاثة اقسام هي المبدأ ، والمبعث ، والمعارى (٥٥) ، على أن الدكتور الدوري يرى انهما كانا كتابين مستقلين احدهما في المبدأ والآخر في السيرة ، وتبدو الأدلة التي أوردها في بحثه عن محمد بن اسحاق قوية ومضعة الى حد بعيد خاصة بعد أن درس قطعة منققة من سيرة ابن اسحاق الاصلية (٥٦) ، وكان الاستاد العابد القاسي قد ذكرها في مقاله عن « حرانة القرويين » وبوادرها ، وذكر انها تشمل الاجزاء ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ كسب سنة ٥٠٦ هـ ، عليها عدة سماعات نقلت من الاصل المتلصق منه (٥٧) . وقد سما الدكتور الدوري مقارنة طريقة بين تهذيب ابن هشام والاحراء الباقية من سيرة ابن اسحاق ، من ناحية الشعر والروايات الاخرى (٥٨) ، وهي امور بلغت النظم وتستحق الاهتمام بشكل اكبر .

ويبدو ان خروج محمد بن اسحاق عن اسلوب المحدثين من اهل المدينة ، لتساوله « المبدأ » في دراسته والى امور ، هي خارج حدود الحديث النبوي ، بعيدة عن نطاقه ، قد اثار عليه سخطا كبيرا عند علماء عصره من اهل الحديث خاصة . وانت ان تمصص في التهم التي وجهت لابن اسحاق تجدتها تدور في هذا الاطار ، وان ريد فيها بعض الاحيان ، أو اتخذت اشكالا خفية أخرى ، ثم تناولتها ايدي المتأخرين المتأثرين بمدرسة المدينة ، وربما رادوا عليها بعض الشيء . وبعد هذه الاتهامات مبثوثة في الكتب التي برحمتك ، وحاول ابن سيد الناس « ت ٧٤٣ هـ » (٥٩) في كتابه « عيون الاثر في فنون المعاري والشمائل والسير » أن يجمع هذه التهم (٦٠) ، ويرد عليها (٦١) ومع كل ذلك فقد مدحت « مفاريه » مدحا رائدا ، فقد روى عن الزهري انه قال . من اراد المعاري فعليه بمولى قيس بن محرمة هذا (٦٢) ، وقال الشافعي من اراد ان يسبح في المعاري فهو عيال على محمد بن اسحاق (٦٣) ، كما اوصى بالاخذ عنها (٦٤) . ويبدو مما ذهبنا اليه ان اهل الحديث - اهل المدينة - حاربوه وجانبوه ، اكثر وصوحا في عبارة ياقوت الحموي حيسا يقول : « وأصحاب الحديث

يضعفونه ، وينهمونه ، (٦٥) ، ومن هنا تبدو الدلالة واضحة ، فالهجوم
الضعيف الذي لاقاه ابن اسحاق من مالك بن انس وهشام بن عروة وغيرهما
من علماء المدينة ، ثم من الكتاب الآخرين كالخطيب البغدادي ، والذهبي ،
من عرف عنهم شدة التعصب لأهل الحديث ، كلها أمور تشير صراحة الى
خروجه عن إطار هذه المدرسة التي سيطرت على كتابة « المغازي » حتى
ذلك العصر ، ولم يدخل بين طهرانيهم أي واحد يخاصهم ، أو يغير في منهجهم ،
واسلوبهم ، وما تعودوا عليه ، فبجىء ابن اسحاق بتعديده لونا جديدا من
المغازي لم يألوه أهل المدينة ، ولا يقوم كله على الحديث ، آثار سطحا واسعا
عليه : فتوجهوا اليه بالتهمة الكبيرة ، كان منها الحق ، وكان الكثير منها
باطلا ، وهو أمر يستعمله الخصم دائما للتقليل من شأن خصمه وتأييد
الساس ، أو العامة ، عليه . والا فالتهمة التي وجهت لابن اسحاق كالترواية
عن المجاهيل ، وأهل الكتاب . . . الخ كان الوجه أن نوجه أيضا الى محمد بن
جرير الطبري الذي ضمن الكثير من هذا نصيره وباريحه ، وقل مثل هذا
عن ابن الاثير وابن كثير الدمشقي ، وكلهم كانوا في المسند ، وكلهم رووا عن
أشخاص ضعفهم أهل الحديث .

لقد كانت صدمة قوية لأهل المدينة بذلك الذي قام به ابن اسحاق ،
لكنه قدم مادة ظلت تنساق لها سمات الكتب ، ولم تعد في أغلب الأحيان خيرا
منها لتقدمها وتعتمد عليها ، فكانوا يشتمونه وينفون عنه في الوقت نفسه .
وظهر هذا الكره الشديد الذي أصمره أهل المدينة لابن اسحاق في
الكتاب الذي وضعه الواقدي ، ت ٢٠٧ ، (٦٦) والذي كان يلسمه لجراح أهل
المدينة من محمد بن اسحاق ، محاول الوقدي ، جهد طائفة ، الرخوع في
كتابه « المغازي » الى اسلوب أهل المدينة نفسه ، وهو اسلوب المحدثين ،
فكتب معازنه على هذه الصورة ، ولهذه الغاية ، ولم يجعلها في إطارها تخرج
عن الفترة المدنية ، كما أنه استعمل الاسناد بشكل أكثر دقة ، كما أنه
أورد اشعارا قليلة جدا بالمقارنة مع ما أورده ابن اسحاق ، وكان متحفظا
دقيقا عند إيراد الشعر ، وكأنه يشعر بالهجوم الضعيف الذي تلقاه ابن
اسحاق ، فكان يخلص نفسه ويوثق شعره بعبارات يوردها لهذا الغرض
نحو قوله : « ما رأيت من أصحابنا أحدا يدفعه » أو « سمعت أصحابنا
يشيرونها » (٦٧) . ولم ينقل الواقدي عن محمد بن اسحاق ، وقدم لنا بذلك
مثلا جليا لمقاطعة مدرسة المدينة لابن اسحاق وعدم الأخذ منه .

لقد استقرت كتابة المغازي عند ابن اسحاق ، ومن جاء بعده كان عيالا
عليه ، لم يزد سوى الترتيب والتبويب ، وفي بعض الأحيان التعليق على
بعض الحوادث ، سواء اعتبروا أنفسهم معتمدين أم مهدين كما فعل ابن
هشام مذهب سيرة ابن اسحاق « ب ٢١٨ هـ » ، أو عبد الرحمن بن عبد الله
بن أحمد بن أصبغ بن الحسين الإمام السهيلي الأندلسي صاحب كتاب
« الروض الأنف » والمتوفى سنة ٥٨١ هـ ، وقطب الدين عبد الكريم الجماعيلي

المتوفى سنة ٧٥٣هـ ، ام اعبروا أنفسهم « مؤلفين » وان لم يعرف لهم في كتبهم سوى المبوب والترييب وبعض النعاليق ، فوضعوا كتباً في السيرة النبوية كما فعل ابن فارس المعوي المتوفى سنة ٢٩٥هـ ومحمد بن علي بن يوسف الشافعي الشامي المتوفى سنة ٦٠٠هـ وغيرهم كثير .

ونحن حينما نقدم هذا العرض البسيط الوحيد لم تكن عابثاً الا الغاء نظرة سريعة على أصول المعاري وعلاقتها من حيث النشأة والتطور بالحديث النبوي الشريف . وانك ان امعنت النظر بالصوص السائفة قد تستطيع ان تلاحظ ، ان كتاب المعاري كانوا محدثين قبل ان يكونوا مؤرخين ، وان اهتمامهم بالحديث ودراسته وزوايته هو الذي دفعهم الى الاهتمام بالمعاري كجزء من الحديث وزواياه ، وحتى حينما اطلقوا على « السيرة » لتكن اوسع شمولاً لطل الحديث الركن الركن وسعادة الاساسية في تكوين المادة التاريخية للسيرة النبوية الركنية . وهكذا كانت متصلة بالحديث ، بل هي جزء منه ، نشأت بسببه وتطورت على هذا الاساس ، ولعل خير دليل يثبت ما ذهبنا اليه الهجوم العنيف الذي لقيه ابن اسحاق حينما حاول تعدي اطار هذه المدرسة واخرجها عن اطارها .

المحدثون المؤرخون :

لم يكف هؤلاء الكتاب ومن جاء بعدهم بنأييف الكتب في المعاري ، او حياة الرسول (ص) عموماً ، بل بدأوا ذلك ، وتوسع أفاقهم وامسكوا ، فوضعوا كتباً تناولت تاريخ الحنفاء الراشدين ، وفتوحهم ، واعمالهم ، والاحداث المهمة التي كانت في عصرهم ، والحنفاء الذين جاءوا بعدهم ، فابن اسحاق مثلاً كان قد وضع كتاباً في « تاريخ الحنفاء » (٦٨) وسأولت دراسات الزهري من قبله تاريخ الحنفاء الراشدين أيضاً ، وكتب الواقدي في موضوعات شتى من التاريخ ، فوضع في الفتوح ، مثل كتاب « فتوح الشام » وكتاب « فتوح العراق » ، كما وضع كتاباً في أخبار مكة ، وألف في تاريخ الراشدين مثل كتاب « سيرة أبي بكر ووفاته » ، وكتاب « مداعي فرش والانصار في العطاء » ووضع عمر الدواوين وتصنيف الفرائض ومراسلها واسانها ، وكتب في الاحداث الاسلامية المهمة مثل كتاب « السقيفة » وبيعة أبي بكر ، وكتاب « الردة » وكتاب « الحمل » وكتاب « صفين » وكتاب « مقتل الحسين » . وفي الوقت نفسه ألف كتاباً عامة في التاريخ الاسلامي مثل كتاب « التاريخ الكبير » ، كما يذكر انه كتب في التراجم مثل « تاريخ الفقهاء » وكتاب « الطبقات » ، هذا الى جانب كتبه في الحديث مثل كتاب « غلط الحديث » ، وكتاب « السنة والجماعة وذم الهوى وترك الخوارج في الفس » ، وتناولت كتبه التي وضعها في الفقه امسوداً شتى متنوعة (٦٩) .

ومن هنا يرى ان الواقدي كان ذا أفق واسع لم تقتصر دراسته على الامور المتعلقة بالحديث أو الفقه أو الدين عموماً ، إنما استطرد وتوسع فشملت كتبه وتآلفه موضوعات كثيرة تناولت احوال الدولة الاسلامية ، من المحمل انها امتدت الى عصره .

ونحن ، في الواقع ، اذا ما دققنا النظر ببعض الرواة والمؤرخين سمطين ان نلمس بسهولة ويسر اهتمامهم بالجناسين ، الحديث والتاريخ . ولا يحفى ان دراسة الحديث هي من مقومات الثقافة العامة في العصور الاسلامية ، فكن لابد ، على الاعلى الاعم ، ان ينح انطاب أول ما يتوجه وهو لما يزل في عهد انصب والنشأ نحو دراسة القرآن والحديث وعلومهما ، ثم يطلب التاريخ بعد ذلك ، ليعنه في صبط الحديث ، فاذا ما تعمق فيه ، وأصبح ممكناً منه ، مسيطراً عليه ، فادرا على فهم عوامه ، ووجد هوى في نفسه ، اتجه تفكيره عندئذ توجه هذه الناحية فيصرف ايها أو يكاد ، ويبلغ من أمره ان يقل تبعاً لذلك اهتمامه بالحديث وروايته ودراسته ، فيصبح حينئذ الاصل فرعاً والفرع اصلاً . وهذه ، لا ريب ، هي الحال بالنسبة لعدد ليس بالقليل من الذين كتبوا في التاريخ الاسلامي ، سواء أكانوا قد كتبوا ليستعينوا على الحديث ، أم رغبة دفعهم ، وأما أحد مجموع قلوبهم لسماع الاحبار وروايهم ، أم فخراً بمعرفتها وارصاء لمن يحب هذا النوع من العلم ويهواه ، وهناك بعد التماذج التي تبين هذا الرأي وبوضوح :

واسماعيل بن عياش بن سليم العسلي الحمصي المتوفى سنة ١٨١هـ كان ممن اشتهر برواية الحديث ، وروى عن أئمة هذا العلم ، كالاوراعي ، وابن جريح ، ويحيى بن سعيد الانصاري ، وموسى بن عقبة ، وسفيان الثوري ، والاعمش وغيرهم . وكان من اعظم حفاظ الحديث . قال أحمد بن حنبل لداود بن عمرو الصبي : هل كان اسماعيل يحدثكم . . من حفظه ، فقال له . نعم ما رأيت معه كتاب قط ، فقال له : فقد كان حافظاً ، كسم كان يحفظ . قال شيئاً كثيراً ، فقال له : ان يحفظ عشرة آلاف ، فقال عشرة آلاف وعشرة آلاف وعشرة آلاف ، فقال أحمد . كان هذا مثل وكيع . وقال أحمد بن حنبل أيضاً : ليس أحد يروي الحديث الشاميين من اسماعيل ابن عياش (٧٠) . وروى له الطبري في تاريخه (٧١) .

وكان الوليد بن مسلم الاموي الدمشقي المتوفى سنة ١٩٥هـ (٧٢) ، عالم الشام في عصره ، روى عن اعلام محدثين مثل حريز بن عثمان ، وصفيان ابن عمرو ، والاوراعي ، وابن جريح ، وابن عجلان ، وابن أبي ذئب ، وسعيد بن عبدالعزيز ، والثوري ، وعبدالله بن العلاء بن زبر ، وزهير ابن محمد التميمي ، وحالد بن يزيد بن صبيح ، وشيبان المجوسي ، وخلق كثير . وروى عنه اعلام أئمة الحديث ، كأحمد بن حنبل ، واسحاق بن راهوية ، وعلي بن المديني ، وأبو حيثمة ، واسحاق بن منصور الانصاري ،

وصدقة بن الفضل المروزي (٧٣) واصراهم . ووضع كتباً كثيرة بلغت سبعون كتاباً . ووضع إلى جانب ذلك كتاباً في المعازي قال عنه أبو زرعة الرازي : كان الوليد أعلم من وكيع بامر المعازي (٧٤) . وروى له الطبري في تاريخه (٧٥) .

ومن مشاهير الرواة والمحدثين محمد بن بشار بن عثمان بن كيسان العبدي البصري، أبو بكر المعروف بسندار (٧٦) الموفى ببغداد سنة ٢٥٢هـ (٧٧) كان من المشاهير القلائل في رواية الحديث .

روى أنه ولد سنة ١٦٧هـ (٧٨) . ونشأ في البصرة ، ولم يخرج من البصرة في طلب الحديث أكثر عمره ، فلم نجد له ذكراً في البلدان الأخرى غير بغداد (٧٩) وربما بعض المناطق القريبة الأخرى . وكانت والدته لا تستطيع فراقه ولهذا لم يسافر براً بها وحياً لها . سمع ابن بشار من محمد بن جعفر عسكراً ، ومحمد بن أبي عدي ، وعبد الوهاب الثقفي ، ووكيع بن الحجاج ، وعناد بن موسى ، وعبد الرحمن بن مهدي ، وبجى ابن سعيد القطان ، وحالد بن الحارث ، وروح بن عباد . وروى عنه إبراهيم ابن اسحق الحرابي ، وأبو بكر بن أبي الدنيا ، وعبد الله بن أحمد بن حنبل ، وعبد الله بن محمد بن إسحاق بن زكريا المطرز ، وعبد الله بن محمد النفوي ، ومحمد بن إسماعيل البصري ، وأبو بكر بن أبي داود ، وبجى ابن محمد بن صاعد ، وغيرهم . وأخذ عنه الحديث وهو لما يزال شاباً ثم يتجاوز الثامنة عشرة من عمره (٨٠) ، وذكر أبو داود أنه كتب عن سندار نحواً من خمسين ألف حديث (٨١) ، وذكر ابن حجر أن البحاري روى له خمسة ومائتين حديثاً ، وروى عنه مسلم ستين وأربعمائة حديثاً (٨٢) ، ويبدو أنه كتب الكثير من أحاديثه ، ويبدو ذلك من اعتماد الخطيب عليه حينما قال : سندار وإن كان يقرأ من كل كتاب ، كان يحفظ حديثه (٨٣) .

روى الطبري أحاديث وأخباراً عن محمد بن بشار في «المبتدأ» فروى عنه في بدء خلق العالم (٨٤) ، وخلق الليل والنهار (٨٥) والقمر (٨٦) ، وكيفية خلق آدم (٨٧) وخيراً عن إخراج آدم من الجنة ونزوله إلى الأرض (٨٨) ، وقابيل وهابيل والبراع بينهما (٨٩) ، وحواء ولها عبد الحارث (٩٠) والنبي داود (٩١) ، وأسباب بعث الأنبياء (٩٢) ، وسام وحام ويافت (٩٣) ، ونبي الله إبراهيم ورواحه من هاجر ومولد إسماعيل وحمر نثر رمزم (٩٤) ، وأول ظهور الحج إلى الكعبة زمن إبراهيم (٩٥) ، وقصة فداء إسماعيل (٩٦) ، وشيئاً عن موسى (٩٧) ، وفاروق (٩٨) ، وأصحاب الكهف (٩٩) وملوك الطوائف (١٠٠) والمدة بين آدم ونوح عليهما السلام (١٠١) .

ونقل الطبري عنه أخباراً تتعلق بالفرة الإسلامية ، كزواج عائشة من رسول الله صلى الله عليه وسلم (١٠٢) وعدد المسلمين في بدر (١٠٣) ، وعن موقعة أحد (١٠٤) ، وفرص الصلاة (١٠٥) ، ويوم الخندق وسلمان الفارسي (١٠٦) وفتح حصن خيبر (١٠٧) ، وخيراً عن بناء البصرة وسببه (١٠٨) ، كما أورد له

الطبري أشياء كثيرة عن عمر بن الخطاب ؛ من ذلك خطبة له (١٠٩) ، وكيف كان رضى الله عنه يعسر بنفسه ، ويرتاد منازل المسلمين ، ويفقد أحوالهم بيديه (١١٠) ، ومحاولته أخذ فصول أموال الأعيان وتقسيمها على الفقراء (١١١) ، وحرصه وشديده في معاملته عماله (١١٢) ، وتناولت رواية الطبري عنه أموراً أخرى (١١٣) .

وروى الطبري كل هذه الأخبار عن محمد بن بشار مباشرة ، وفي الوقت نفسه روى عنه أخباراً أخرى في التعبير (١١٤) وتناولت ذلك الكتب الماريجية الأخرى (١١٥) .

ويبدو لي من الأخبار التي رواها الطبري وغيره عن محمد بن بشار أنه كان صاحب تأليف ، أو أنه على الأقل قد دون بعض مروياته ، ويبدو ذلك من السبك والتسلسل الواضح في رواياته والتسلسل الرمزي الذي أخذ عنه الطبري . ومما يلاحظ أيضاً أنه تناول فترات مختلفة من التاريخ الإسلامي وقدم بذلك دليلاً على ارتباط الحديث والتاريخ . واني موافق لك فيما يأتي نصاً رواه الطبري عن محمد بن بشار حول عزوه الحندق ، فد نستطيع منه أن بين أسلوب محمد بن بشار وطريقته وعرضه للمادة : فحدثنا عن محمد بن بشار ، قال حدثنا محمد بن خالد بن عثمة ، قال : حدثنا كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف المزني ، قال : حدثني أبي ، عن أبيه ، قال :

خط رسول الله صلى الله عليه وسلم الحندق عام الأحزاب من أحسن الشيعين (١١٦) طرف بني حارثة ، حتى بلغ المذاذ (١١٧) ثم قطعه أربعين ذراعاً بين كل عشرة ، فأحرق المهاجرون والانصار في سلمان الفارسي - وكان رجلاً قوياً - فقالت الانصار : سلمان ما ، وقالت المهاجرون : سلمان ما ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : سلمان ما أهل البيت . قال عمرو بن عوف : فكنت أنا وسلمان ، وحذيفة بن اليمان ، والسلمان ابن مفرن المرني ، وسنة من الانصار في أربعين ذراعاً ، فحفرنا تحت ذو باب حني بلغنا السدى ، فأخرج الله عز وجل من بطن الحندق صخرة بيضاء مروة فكسرت حديدنا ، وشقت علينا . فقلنا : يا سلمان ، ارق الى رسول الله عليه وسلم فأحمره حمر هذه الصخرة ، أما ان يعدل عنها فان المعدل قريب ، وأما ان يأمرنا فيها بأمره ، فإنا لا نحب أن نجاوز خطه .

فرقى سلمان حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ضارب عليه فبة تركية ، فقال : يا رسول الله ، بأبي أنت وأمي ! خرحت صخرة بيضاء من الحندق مروة ، فكسرت حديدنا ، وشقت علينا حتى ما نحيك فيها قليلاً ولا كثيراً ، فمرنا فيها بأمرك ، فإنا لا نحب ان نجاوز خطك . فهبط رسول الله صلى الله عليه وسلم مع سلمان في الحندق ، ورقبنا نحن التسعة على شقة الحندق ، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم

المعول من سلمان ، فصرب الصخرة ضربة صدعها ، وبرقت منها برقعة
أضاء ما بين لابتيها (١١٨) - يعني لابني المدينة - حتى لكان مصباحا في
جوف بيت مظلم . فكر رسول الله صلى الله عليه وسلم تكبير فتح ،
وكبر المسلمون . ثم صربها رسول الله صلى الله عليه وسلم الثانية ،
فصدعها وبرق منها برقعة أضاء ما بين لابتيها ، حتى لكان مصباحا في
جوف بيت مظلم . فكر رسول الله صلى الله عليه وسلم تكبير فتسح
وكبر المسلمون . ثم صربها رسول الله صلى الله عليه وسلم الثالثة فكسرها ،
وبرق منها برقعة أضاء ما بين لابتيها ، حتى لكان مصباحا في جوف بيت مظلم ،
فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم تكبير فتح وكبر المسلمون ، ثم
أخذ بيد سلمان فرقى ، فقال سلمان : يا بني انت وامي يا رسول الله ! لقد
رأيت شيئا ما رأيته قط ! فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم الى
القوم ، فقال : هل رأيتم ما يقول سلمان ؟ قالوا : نعم يا رسول الله ،
بأبينا انت وأما قد رأيته تصرب فيخرج برق كاللوح ، فرائناك تكسر
فكسر ولا يرى شيئا غير ذلك . قال : صدقتم ، فصربت صررتي الاولى ،
ففرق الذي رأيتم ، أصابت لي منها قصور بالحيرة ومدائن كسرى ، كأنها ابواب
الكلاب ، فأخبرني جبريل أن أمي ظاهرة عليها ، ثم صربت صررتي الثانية ،
ففرق الذي رأيتم ، أصابت لي منها قصور الحمر من أرض الروم ، كأنها
ابواب الكلاب . فأخبرني جبريل أن أمي ظاهرة عليها ، ثم صربت الثالثة ،
ففرق منها الذي رأيتم ، أصابت لي منها قصور صنعاء كأنها ابواب الكلاب ،
فأخبرني جبريل أن أمي ظاهرة عليها ، فأبشروا يبلغهم النصر ، وأبشروا
يبلغهم النصر ، وأبشروا يبلغهم النصر . فاستبشروا المسلمون ، وقالوا :
الحمد لله موعد صادق بار ، وعدنا النصر بعد الحصر . فطلعت الأحزاب ،
فقال المؤمنون : « هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم
إلا إيمانا وتسليما » (١١٩) وقال المنافقون : ألا تعجبون ! يحدثكم ويمسبكم
ويعدكم الباطل ! يخبركم أنه ينصر من يشرب قصور الحيرة ومدائن كسرى ،
وأنها تفتح لكم ، وأنهم تحفرون الحندق ولا تستطيعون أن تبرزوا !
وانزل القرآن : « واد بقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله
ورسوله الا غرورا » (١٢٠) (١٢١)

ونحن حينما نسعرض معظم المؤرخين لحدثهم ممن عوا بالحديث
وبرزوا فيه ، وكان الأساس الذي دهمهم الى الاضمحلال بالباريح ، ويكفي ان
تذكر الخطيب البغدادي « ت ٤٦٣ هـ » وأبنا سعد السمعاني
« ت ٥٦٢ هـ » ، وعبد الرحمن بن الحوري « ت ٥٩٧ هـ » وابن الديلمي
الواسطي « ت ٦٣٧ هـ » ومحب الدين ابن النجار « ت ٦٤٣ هـ » وزكي
الدين عبدالعظيم المنذري الشافعي « ت ٦٥٦ هـ » وابن الساعي البغدادي
مؤرخ العراق العظيم « ت ٦٧٤ هـ » واس كثير الدمشقي « ت ٧٧٤ هـ » ومؤرخ

العراق ابن الهيثمي البغدادى • ت ٧٢٣ هـ • وشمس الدين الذهبي • ت ٧٤٨ هـ • وابن حجر العسقلاني • ت ٨٥٢ هـ • وحلال الدين السيوطي • ت ٩١١ هـ • ... الخ •

(١) انظر مثلا : جواد علي : تاريخ العرب قبل الاسلام ج ٧ ص ٢٦ قصيدته ، الدوري بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب ص ١٣-١٨ • وبعد فيه فكرة واضحة عن الموضوع ، رورثال علم التاريخ عند المسلمين ص ٢٩-٢٨ ، حبيب نصار : نشأة التدوين التاريخي عند العرب •

(٢) تناول الاسناد سيديرسكي ، عضو الجمعية الاسيوية ، موضوع القصص الوارد في القرآن والاحاديث السوية بالبحث في أحد كتبه ، وحاول ان يرجع اصولها ، وقدم بذلك دراسة مقاربة ، فتكلم عن آدم ، وابراهيم ، ويوسف ، وموسى وداود وسليمان وغيرهم ، انظر •

D. Sidersky : Les Origines des L'legendes Musulmanes Dans le coran et dans les vies des Prophetes. Paris 1933.

(٣) البحاري : التاريخ ج ١ قسم ١ ص ٢١٦-٢١٧ • ابن الفيراني : الجمع ج ٢ ص ٤٤٨-٤٤٩ : الذهبي : اهل المائة صاعدا • الورقة ٤ (نسخة دار الكتب الطاهرية) ابن حجر : تهذيب التهذيب ج ٩ ص ٤٢٠-٤٢٢ •

(٤) انظر : ابن سعد : الطبقات ج ٥ ص ٢٩٥ • ابن حجر : تهذيب التهذيب ج ١٥ ص ١٠٦ •

(٥) ابن سعد : الطبقات ج ٦ ص ١٧٩ • الذهبي : تذكرة الحفاظ ج ١ ص ٦٥ • ابن العماد : شذرات الذهب ج ١ ص ١٠٨ •

(٥) ابن حجر : تهذيب التهذيب ج ١ ص ١٢٤ •

(٦) ابن كثير : البداية والنهاية ج ١ ص ١٠٨ •

(٧) استعري ذلك الجريين الاول والثاني وقسم من الجزء الثالث من تاريخه ، ومع ذلك فهو مختصر لكثير من الاخبار •

(٨) ابن كثير : البداية والنهاية ج ١ ص ٦ •

(٩) أدت مشكلة أحد قول الصحابي وعمله في التشريع ما يشاء طويله في كتب الفقه وأصوله ، فذهب البعض الى القول بحجية ومن هؤلاء ابن القيم في كتابه اعلام الموقعين ج ٣ ص ٢٧٧ - ٤٠٥ ، وأورد أقوالا لامي حبيبة والشافعي تؤيد رأيه ، قال الشافعي : « ما كان الكتاب والسنة موحدين فلا عذر في العدول عنهما ، فان لم يكونا ، صرنا الى أقاويل الصحابة أو واحد منهم ، وقول الائمة ابي بكر وعمر وعثمان أحب اليها اذا صرنا الى التقليد ، لان قول الامام مشهور يلزم الناس به » • وانظر ايضا الآمدي الاحكام ج ٣ ص ١٠٣ • وعلي حسب الله : أصول التشريع الاسلامي • ط ٣ القاهرة ١٩٦٤ ص ٦١ - ٦٣ •

(١٠) انظر كتاب الدكتور صالح المكي : التنظيمات الاحتماعية والاقتصادية في البصرة في القرن الاول الهجري بعدد ١٩٥٣ • وكذلك مقالته عن « استيطان العرب في خراسان » المنشورة في مجلة كلية الآداب والعلوم ، العدد الثاني •

(١١) انظر ابن القيم : الفهرست ص ١٣٩ ، ١٥٩ ، ١٦١ • المناظرات بين القناب وأشرف المشائير • لابي الحسن النجاشي ، ١٦٥ ، ١٦٦ ، ١٨٤ • معاصرة القبائل في السب • لامي التوزي عمر بن المطرف •

(١٢) الفهرست ص ١٣٦ •

(١٣) نفس المصدر ص ١٥٠ •

(١٤) نفس المصدر ص ١٣٧ •

- (١٥) انظر مثلاً المهرست ص ١١٦ ، ١٥٢ ، ١٦١ ، ١٧٦ ، ١٨٥ ، ١٩٦ ، ٢١٠ .
وانظر الرسالة التي تقدم بها الصديق الأستاذ عبده الله السلوم عن الشعوية ليل درجة الماجستير في التاريخ الاسلامي من جامعة بغداد ١٩٦٥ . ومظاهر الشعوية في الادب العربي لمبىه حجاب . والفصل الذي كنه الدكتور طه الحاجري في كتابه عن الجاحظ .
- (١٦) اعتمدت على النسخة المصورة في المكتبة المركزية في جامعة بغداد . ومنه نسخة مصورة عند الاساذ حسام السامرائي صورها من استانبول .
- (١٧) منه نسخة مختارة في مكتبة الاوقاف بغداد .
- (١٨) السيماني روضة القضاة وطريق السجاة مخطوطة دار كتب مدينة موبج .
رقم Cod. arab 260 .
- (١٩) روضة القضاة . الورقة ١٧ ب فما بعد .
- (٢٠) ابن الاثير الكامل ج ١ ص ٤ - ٥ .
- (٢١) المصدر السابق ج ١ ص ٥ .
- (*) لمعلومات اوسع راجع مقالتي : مظهر تأثير علم الحديث في علم التاريخ عند المسلمين . المنشورة في مجلة الاعلام البغدادية . العدد الخامس من السنة الاولى .
- (٢٢) ابن النديم . المهرست ص ١٣٤ .
- (٢٣) ابن النديم : المهرست ص ١٣٦ ، الطوسي : المهرست ص ١٢٩ - ١٣٠ ، ابن شاذان الكتبي : لوات الوفيات ج ٢ ص ١٤٠ - ١٤١ ، الذهبي : سيران الاعتدال ج ٢ ص ٣٦٠ ، ابن حجر : لسان الممران ج ٤ ص ٤٩٢ - ٤٩٣ .
- (٢٤) انظر دائرة المعارف الاسلامية مادة « سيف بن عمر » .
- (٢٥) ابن النديم : المهرست ص ١٣٧ ، الطوسي : المهرست ص ١٧١ - ١٧٢ ، الجاشي : كتاب الرجال ص ٣٠١ - ٣٠٢ .
- (٢٦) انظر مقاله خالد العسلي عن المدائن المنشورة في مجلة كلية الآداب العدد الخامس .
- (٢٧) الموسوع في دراسة المعاري انظر كتاب يوسف هورمسي : المعاري الاولى ومؤلفوها .
- مرحمة الدكتور حسين نصار ، القاهرة ١٩٤٩ ، الدوري بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب (بيروت ١٩٦٠) خاصة ص ٦١ فما بعد . كما كتب الدكتور الدوري بحثاً عن ابن اسحاق قلعه لجميع اللغة العربية المعتقد بغداد في تشرين الثاني ١٩٦٥ ، حسين نصار : نشأة التدوين التاريخي عند العرب . ومادة « سيرة » في دائرة المعارف الاسلامية . وهناك بحوث كثيرة أخرى .
- (٢٨) لمعلومات اوسع انظر .
- C. Snouck Hurgronic . Selected works of C. Snouck Hurgronic
ed. by G.H. Bousquet and J. Schacht, Leiden 1959 pp 48 ff
- (٢٩) وصلتنا بعض هذه الرسائل مدونة في سيرة ابن اسحاق ، ومقاري الواقدي ، وتاريخ الطبري . انظر تفاصيل ذلك في بحث الدكتور نصار : نشأة التدوين التاريخي ص ٣١ فما بعد ، والدوري بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب ص ٦٢ فما بعد ، ص ١٢٧ - ١٥١ .
- (٣٠) الاصمعياني : الاعراب ج ١٩ ص ٦٩ (سامي) .
- (٣١) الدوري : بحث في نشأة علم التاريخ ص ٣٠ .
- (٣٢) ابن سعد . الطبقات ج ٥ ص ١١٢ - ١١٣ ، ابن حجر : تهذيب التهذيب ج ١ ص ٩٧ .
- (٣٣) البعوني : التاريخ ج ١ ص ٣ .
- (٣٤) ابن قتيبة : الشعر والشعراء ص ١٠٦ ، حسين نصار : نشأة التدوين التاريخي ص ٢٩ - ٣١ .
- (٣٥) ابن سعد . الطبقات ج ٥ ص ١٥٦ .

- (٣٦) نفس المصدر ج ٥ ص ١١٣ .
- (٣٧) البخاري : التاريخ الكبير ج ١ ص ٢٥٠ - ٢٥١ .
- (٣٨) ابن حجر : تهذيب التهذيب ج ١ ص ٩٧ .
- (٣٩) حاجي خليفة : كشف الظنون ج ٢ ص ١٧٤٧ .
- (٤٠) كان هشام بن عروة بن الزبير من أئمة الحديث . حدث عن أبيه ، وعمه عبدالله ابن الزبير ، وأكثر أسرة آل الزبير ، وجماعة كثيرة أخرى . ثم زار الكوفة ، وحدث هناك بالكثير عن أبيه ، ودخل بغداد واقفا على المنصور حيث توفي بها سنة ١٤٦ هـ .
- ويبدو من الروايات الكثيرة التي أوردها الطبري ، وهي في ٣٤ موضعا (النظر : فهرس تاريخ الطبري ص ٦١٢) ، والاحاديث التي أوردها له أصحاب الصحاح ، وهي قرابة الاربعمئة حديث ، انه قلما كان يروي عن غير والده ، ولذلك يبدو انه كان ينقل من كتب أبيه عروة ، وعلى هذا فمن المحتمل انه وضع كتابا على نسق كتب والده ، اعتمد فيها على كتب أبيه وأضاف من عنده معلومات جديدة .
- النظر : نسيد قریش ص ٢٤٨ ، الخطيب : تاريخ بغداد ج ١٤ ص ٣٧ ، اليافعي : مرآة الجنان ج ١ ص ٣٠٢ ، ابن خلكان : وفيات الاعيان ج ٢ ص ١٩٤ ، الذهبي : ميزان الاعتدال ج ٣ ص ٢٥٥ ، جواد علي موارد تاريخ الطبري في مجلة المجمع العلمي العراقي ج ١ مجلد ٣ ص ٤٧ - ٤٨ .
- (٤١) ابن سعد : الطبقات ج ٥ ص ١٣٣ .
- (٤٢) ابن سعد : الطبقات ج ٥ ص ١٣٤ ، البخاري : التاريخ الكبير ج ٤ ص ٢١ ، الذهبي : تذكرة الحفاظ ، ج ١ ص ٥٨ .
- (٤٣) البخاري : التاريخ الكبير ج ٤ ص ٢٢ .
- (٤٤) نفس المصدر والجزء والصفحة .
- (٤٥) ابن سعد : الطبقات ج ٥ ص ١٣٤ .
- (٤٦) نفس المصدر ج ٥ ص ١٣٥ . وكتب مسلم بن الحجاج بن مسلم النيسابوري المتوفي سنة ٢٦١ هـ رسالة في رجال عروة بن الزبير ، منه نسخة خطية بالمكتبة الظاهرية بدمشق . الرقم : مجموع ٥٥ من الورقة ١٣٩ الى ١٤٧ .
- (٤٧) الدوري : بحث في نشأة علم التاريخ ص ٧٨ - ١٠٢ .
- (٤٨) نفس المصدر ص ٢٣ .
- (٤٩) دائرة المعارف الاسلامية مادة « سيرة » .
- (٥٠) ابن أبي حاتم الرازي : الجرح والتعديل ج ٤ قسم ١ ص ١٥٥ ، الذهبي : تذكرة الحفاظ ج ١ ص ١٤٠ ، ابن حجر : تهذيب التهذيب ج ١٠ ص ٢٦٠ ، حسين نصار : نشأة التكوين التاريخي ص ٥٣ - ٥٦ .
- (٥١) ابو نعيم : حلية الاولياء ج ٣ ص ٣٦١ (القاهرة ١٩٢٢) .
- (٥٢) ابن سعد : الطبقات م ٧ قسم ٢ ص ٦٧ ، البخاري : التاريخ ج ١ قسم ١ ص ٤٠ ، ابن النديم : الفهرست ص ٩٤ ، الخطيب : تاريخ بغداد ج ١ ص ٢٢٣ - ٢٢٤ ، ياقوت : ارشاد ج ٦ ص ٣٩٩ - ٤٠١ ، ابن خلكان : وفيات الاعيان ج ١ ص ٤٨٣ ، الذهبي : تذكرة الحفاظ ج ١ ص ١٦٣ ، ابن حجر : تهذيب التهذيب ج ٩ ص ٣٨ .
- (٥٣) من القدمات المصادر التي ذكرناها ، إضافة الى قضية الشعر الموضوع التي تناولها ابن سلام الجعفي في طبقات الشعراء ، كما أورد ياقوت اقوال طائفة من النقاد عن شعره ، وتجد ذلك مروضاً في مقال الدكتور وليد عرفات « النافذون الاولون لشعر السيرة » الذي ترجمته ونشرته في مجلة الاقلام البغدادية العدد الثالث السنة الاولى . ومن المحدثين تناول ابن اسحاق عند هائل من الباحثين فذكر منهم كايقاني ، وميور ، ولامفسر ، وببكر ، وتولدكة وليفي دي لايفدا ، وانورد سخاو ، وجب ، وبلاشير ، وفستفيلد ، وبروكلسان ، ومرغليوث

وفيك ، وهي أوسع دراسة باللغة الألمانية ، وهورفتس ، ومونتفيري وات وغيرهم ومن العرب : أحمد أمين في ضحى الاسلام ، وحسين نصار في نشأة التدوين التاريخي ، وجواد علي في مواد تاريخ الطبري ، والدوري في نشأة علم التاريخ عند العرب ، وآخرها مقاله الذي قدمه لجمع اللغة العربية المنعقد ببغداد ١٩٦٥ بعنوان : « دراسة في سيرة النبي ومؤلفها ابن اسحاق » .

- (٥٤) ابن هشام : السيرة ج ١ ص ٤ .
 (٥٥) هورفتس : المفازي الأولى ومؤلفوها . ترجمة الدكتور حسين نصار ص ٨٢ .
 (٥٦) الدوري : دراسة في سيرة النبي (ص) ومؤلفها ابن اسحاق . بغداد ١٩٦٥ ص ١١ - ١٤ .
 (٥٧) مجلة معهد المخطوطات العربية . المجلد الخامس ج ١ ص ١٤ - ١٥ . وكنت قد اشرت الى هذا الخبر في تعليقي على مقال الدكتور وليد عرفات « النقادون الاولون لشعر السيرة » الذي ترجمته ونشرته في مجلة الاقلام العدد الثالث من السنة الاولى (ص ١٢٩ هامش رقم ١١) وبينت أهمية هذه الاجزاء لو قورنت مع النسخة الحالية من ابن هشام .
 (٥٨) الدوري : دراسة في سيرة النبي ص ٢١ - ٢٤ .
 (٥٩) الحسيني : ذيل تذكرة الحفاظ ص ١٦ ، السيوطي : ذيل طبقات الحفاظ ص ٣٥٠ ، ابن العماد : شذرات الذهب ج ٦ ص ١٠٨ .
 (٦٠) عيون الاثر ص ١٠ - ١٣ (القاهرة ١٣٥٦ هـ) .
 (٦١) نفس المصدر ص ١٣ - ٢١ .
 (٦٢) البخاري : التاريخ الكبير ج ١ قسم ١ ص ٤٠ .
 (٦٣) الخطيب : تاريخ بغداد ج ١ ص ٢٢٦ ، ابن خلكان : وفيات الاعيان ج ١ ص ٦٨٧ ، الذهبي : تذكرة الحفاظ ج ١ ص ١٦٢ .
 (٦٤) عيون الاثر ص ٨ - ٩ .
 (٦٥) ياقوت : ارشاد ج ٦ ص ٤٠١ .
 (٦٦) أنظر : ابن قتيبة : المعارف ص ١٧٦ ، ابن النديم : الفهرست ص ١٤٤ - ١٤٥ ، الخطيب : تاريخ بغداد ج ٢ ص ٣ - ٢١ ، السمعاني : الانساب ص ٥٧٧ ب ، ياقوت : ارشاد ج ٥ ص ٥٥ ، ابن خلكان : وفيات الاعيان ج ١ ص ٥٠٦ ، ابن سيد الناس : عيون الاثر ج ١ ص ١٧ ، الذهبي : تذكرة الحفاظ ج ١ ص ٣١٧ ، ميزان الاعتدال ج ٣ ص ١١٠ ، ابن حجر : تهذيب التهذيب ج ٩ ص ٣٦٣ - ٣٦٨ ، السيوطي : طبقات الحفاظ ج ١ ص ٧٤ ، ابن العماد : شذرات الذهب ج ٢ ص ١٨ .
 (٦٧) أنظر : النقادون الاولون لشعر السيرة ، ترجمتي ص ١٣١ .
 (٦٨) ياقوت : ارشاد ج ٦ ص ٤٠١ . وقد وجدت قطعة صغيرة من تاريخه هذا مكتوبة على البردي أنظر :
 N. Abbott: Studies in Arabic Literary Papyri Vol. I pp. 80-100 (Chicago 1955).

- (٦٩) أنظر عن كتبه مثلاً : ابن النديم : الفهرست ص ١٤٤ - ١٤٥ ، ابن قتيبة : المعارف ص ١٧٦ ، الخطيب : تاريخ بغداد ج ٧ ص ٣ - ٢١ ، ياقوت : ارشاد ج ٥ ص ٥٥ الخ . . . وأنظر أعلاه في مظان ترجمته .
 (٧٠) ابن عساكر : تهذيب تاريخ دمشق ج ٣ ص ٣٩ - ٤٠ ، الذهبي : تذكرة الحفاظ ج ١ ص ٢٣٣ .
 (٧١) راجع فهرست تاريخ الطبري ص ٣٨ .
 (٧٢) الذهبي : تذكرة الحفاظ ج ١ ص ٢٧٨ ، وميزان الاعتدال ج ٣ ص ٢٧٥ - ٢٧٦ ، ابن حجر : تهذيب التهذيب ج ١١ ص ١٥١ - ١٥٥ ، الجزري : غاية النهاية في طبقات القراء

- ج ٢ ص ٣٦٠ ، طبقات المدلسين ص ٢٠ ، البغدادي : هدية العارفين ج ٢ ص ٥٠٠ .
- (٧٣) ابن حجر : تهذيب التهذيب ج ١١ ص ١٥١ - ١٥٢ .
- (٧٤) ابن حجر : تهذيب التهذيب ج ١١ ص ١٥٢ ، الذهبي : ميزان الاعتدال ج ٢ ص ٢٧٥ .
- (٧٥) فهرس تاريخ الطبري ص ٦٢٩ .
- (٧٦) لقب « بشار » لجملة حديث مالك - وبشار ، مفرد « بشار » وهم التجار الذين يخزنون البضائع للمخلاء ، وقال السمعاني : البشار : بضم الباء الموحدة وسكون اللون وفتح الدال المهملة وفي آخره الراء . هذه النسبة الى من يكون مكثرا من شيء (الانساب ، الورقة ١٩٢) .
- (٧٧) ابن أبي حاتم : الجرح والتعديل ج ٣ قسم ٢ ص ٢١٤ ، الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ج ٢ ص ١٠١ - ١١٠ ، ابن القيسراني : المجموع ج ٢ ص ٤٣٥ ، ياقوت : معجم البلدان ج ١ ص ٦٧ ، ج ٢ ص ١٢٩ ، ج ٣ ص ١٠ ، الذهبي : ميزان الاعتدال ج ٢ ص ٣٠ ، ابن حجر : تهذيب التهذيب ج ٩ ص ٧٠ .
- (٧٨) الخطيب : تاريخ بغداد ج ٢ ص ١٠٢ .
- (٧٩) نفس المصدر ج ٢ ص ١٠١ .
- (٨٠) نفس المصدر ج ٢ ص ١٠٢ .
- (٨١) نفس المصدر والجزء والنصف .
- (٨٢) ابن حجر : تهذيب التهذيب ج ٩ ص ٧٤ .
- (٨٣) الخطيب : تاريخ بغداد ج ٢ ص ١٠٢ .
- (٨٤) الطبري : تاريخ ج ١ ص ١١ ، (ط . ابو الفضل ابراهيم) .
- (٨٥) نفس المصدر ج ١ ص ٦١ - ٦٢ .
- (٨٦) نفس المصدر ج ١ ص ٧٦ .
- (٨٧) نفس المصدر ج ١ ص ٩٢ - ٩٣ .
- (٨٨) نفس المصدر ج ١ ص ٦٢٧ .
- (٨٩) نفس المصدر ج ١ ص ١٤١ - ١٤٢ .
- (٩٠) نفس المصدر ج ١ ص ١٤٨ .
- (٩١) نفس المصدر ج ١ ص ١٥٧ .
- (٩٢) نفس المصدر ج ١ ص ١٧٨ .
- (٩٣) نفس المصدر ج ١ ص ١٩٢ .
- (٩٤) نفس المصدر ج ١ ص ١٩٢ .
- (٩٥) نفس المصدر ج ١ ص ٢٦١ - ٢٢٨ .
- (٩٦) نفس المصدر ج ١ ص ٢٦٧ ، ٢٧٧ .
- (٩٧) نفس المصدر ج ١ ص ٢٦٦ ، ٤٣١ .
- (٩٨) نفس المصدر ج ١ ص ٤٤٣ .
- (٩٩) نفس المصدر ج ٢ ص ٥ .
- (١٠٠) نفس المصدر ج ٢ ص ٢١ .
- (١٠١) نفس المصدر ج ٢ ص ٢٣٥ .
- (١٠٢) نفس المصدر ج ٢ ص ٤٣٢ .
- (١٠٣) نفس المصدر ج ٢ ص ٢٩٩ .
- (١٠٤) نفس المصدر ج ٢ ص ٥١٥ .
- (١٠٥) نفس المصدر ج ٢ ص ٥٥٧ .
- (١٠٦) نفس المصدر ج ٢ ص ٥٦٧ - ٥٧٠ .

- (١٠٧) نفس المصدر ج ٣ ص ١١ - ١٢ .
- (١٠٨) نفس المصدر ج ٣ ص ٥٩١ - ٥٩٢ .
- (١٠٩) نفس المصدر ج ٤ ص ٢٠٣ - ٢٠٤ .
- (١١٠) نفس المصدر ج ٤ ص ٢٠٥ .
- (١١١) نفس المصدر ج ٤ ص ٢٦٦ .
- (١١٢) نفس المصدر ج ٤ ص ٢٦٦ .
- (١١٣) انظر الطبري : التاريخ الحلقة ٣ ص ٢٣٧٣ ، ٢٣٧٥ ، ٢٣٧٦ ، ٢٣٨٥ .
- (١١٤) الطبري : جامع البيان في تفسير القرآن ج ٣ ص ٦٨ ، ج ٤ ص ٢٧٥ ، ج ٩ ص ٢٩ ، ١٣٢ ، ج ١٠ ص ٢٠٢ ، ٢١٤ ، ج ١٣ ص ١٦٠ ، ٢٤٠ ، ج ١٥ ص ٢٨ ، ١٥٠ ، ج ١٧ ص ١٠٦ (بولاق) ، ج ٢١ ص ٨٥ - ٨٦ (بولاق) .
- (١١٥) انظر مثلاً : النجوم الزاهرة ج ٢ ص ٣٣٦ .
- (١١٦) الاحجيم : الاطم وهو الحصن ، والشيخان : موضع بالمدينة ، كان فيه معسكر الرسول (ص) ليلة خرج لقتال المشركين بأحد .
- (١١٧) المداد : موضع بالمدينة مكان الخندق .
- (١١٨) اللاية : الحرة ، والمدينة تقع بين حرتين أي لايتين .
- (١١٩) الاحزاب ٢٢ .
- (١٢٠) الاحزاب ١٢ .
- (١٢١) الطبري : تاريخ ج ٢ ص ٥٦٧ - ٥٧٠ وانظر : الطبري تفسير ج ٢١ ص ٨٥ - ٨٦ (بولاق) .

